

في نور محمد فاطمة الزهراء

من ابن أخيك فلم تنهه عن ذلك، وإنما لا نصبر على هذا: من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عن ذلك أو ننازله وإيّاك حتى يهلك أحد الفريقين[506]. فما فعل الشيخ؟ لم يزد على أن قال للنبي بعد حديث معه قصير: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً. وبلغهم أنَّهُ صور عزمه في شعر قال فيه: والله لن يصلوا إليك بجمعة عنهم *** حتى أوسد في التراب دفيناً [507] ويرموا به... ثم رأوا ألاماً مناص لهم، ليحفظوا هيبتهم في العرب، من أخذ محمد أخذةً باطشةً من وراء ظهر أبي طالب، فيصبح الشيخ على ابن أخيه وهو صريع قد لقي حتفه غيلةً، وتأثره مفرق بين قبائل قريش، لا يدري أحد أيها الواتر[508] الذي يقع على رأسه دم القتل، لكن العم يقط الأريب شمّ الريح، فأسرع من فوره فجمع فتيةً أجلاداً من الهاشميين، دفع بهم خلسةً إلى مجمع القوم، ووكل إلى كل فتى منهم رقبة زعيم، يقطها عندما يئس الأوان، ومضى يبحث عن النبي حيثما ظن أن يلقاه. ثققلت بسادة الشرك خطى الساعات، انتابهم قلق لا يكادون يعرفون مآتاه، تنفّسوا مع الهواء الوجوم، توجّسوا شرّاً مجهولاً وقد أحسّوا كأنهم في حصار، وعلى الأثر وأدوا في طواياهم تأمرهم، كما يقبض السبع مخالفه في برائنه بعد نشرها تهيداً وانقضاض. فإن هي إلا هنيهة حتى أشرف عليهم أبو طالب، متلهّب العينين من غضب - وإلى جواره النبي - وصاح: يا معشر قريش!